معركة النبوة والزعامة في القرآن الكريم**

٢

للأستاذ : محمد عزة دروزة

** الجزء الأول من هذا المقال نشر بالعدد ١٥٤

- ١٢ -

ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان موقف الزعماء هو المؤثر في الجمهور ، وأن نطاق دعوته سوف يبقى ضيقا وانها سوف تتعثر وان الأذى سوف يشتد على المؤمنين ما دام الزعماء في هذا الموقف . وكان بعضهم معتدلا ، او اقل اندفاعا في المناوأة والكيد والصد من بعض ، فأداه اجتهاده إلى بذل الجهد في تألفهم وإقامة الصلات معهم بل ومسايرتهم شيئا ما ، ولو كان في ذلك بعض الغض او الإهمال لأصحابه على أمل كسبهم للدعوة وكسر الطوق المضروب حولها ، وكان هذا الاجتهاد خلاف الأولى عند الله عز وجل ، فاقتضت حكمة الله تنبيهه إلى ذلك وإلى ان مهمته هي الإنذار والتبشير والدعوة والاهتمام بالذين آمنوا به وانضووا إليه ، وعدم المبالاة بالزعماء الذين امتنعوا عن الاستجابة او وقفوا موقف الصد والأذى بسبب استكبارهم وخبث نواياهم وسوء أخلاقهم واعتباراتهم الشخصية والأسرية . وأن كل ما عليه أن يتلو القرآن ويدعو إلى الله ومكارم الأخلاق ، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وانه ليس هو وكيلا ولا مسؤولا ولا جبارا ولا مسيطرا وإنما هو منذر وكفى .

ويمثل ذلك في القرآن آيات سورة عبس هذه : **« عبس وتولى ، ان جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى ، وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ، كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره »** عبس / ١ — ١٢ .

ويمثله آيات سورة الأنعام هذه : **« وانذر به الذين يخافون ان يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين »** الأنعام / ٥١ — ٥٣ .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض الزعماء إلى الجلوس إليه والاستماع لما يتلوه فيقولون له : ابعد عنك هؤلاء الناس الفقراء الأرقاء حتى نجلس إليك . ويستهزئون بهم قائلين : أهؤلاء منَّ الله عليهم من دوننا فصاروا مهتدين معززين عند محمد ويطلب منا أن نتساوى بهم . وفحوى الآيات قد يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لشدة رغبته في كسبهم ، خطر له أن يوعز للفقراء من أصحابه الا يكونوا في مجلسه إذا جاء احد من الزعماء ليجلس إليه فكان تنبيه الله عز وجل حاسما ، ويمثل ذلك آيات سورة الكهف هذه : **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع**

أجر من احسن عملا) الكهف ٢٨ — ٣٠

وجملة ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا : تعني لا تهمل المؤمنين متطلعا إلى الأغنياء والزعماء .

ويمثله آيات سورة النمل هذه :

(إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين . وان اتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) . النمل / ٩١ — ٩٢ .

ويمثله كذلك آيات في سورة الإسراء ذات خطورة شديدة وهي :

(وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء / ٧٣ — ٧٥

وقد روى في صدد هذه الآيات ان بعض الزعماء طلبوا من النبي ذكر آلهتهم بالخير حتى يتلاقوا معه في منتصف الطريق ويتم حل وسط بينه وبينهم . والآيات قد تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم خطر بباله أن يتساهل بعض التساهل معهم حرصا على هداهم فعصمه الله وثبته .

وفحوى الآيات نفسها تدل بقوة وصراحة على ان ما خطر بباله كان شيئا غير اساسي ولكن حكمة الله اقتضت أن هذا لا ينفي بأن يكون لأنه نتيجة مساومة بينه وبين الكفار في ميدان دعوته لا يمكن أن تتحمل اي مساومة ولا حلا وسطا .

وفي ما تقدم صور خطيرة من صور المعركة كما هو ظاهر .

ولقد كان من مظاهر ووسائل المعركة من ناحية الزعماء تحدي النبي صلى الله عليه وسلم بالإتيان بالمعجزات المؤيدة لصلته بالله تعالى الذين كانوا يعتقدون بوجوده ولا سيما انهم كانوا يعرفون ان الأنبياء السابقين اتوا بالمعجزات التي تؤيد صلتهم بالله على ما تفيده بعض آيات القرآن ومن ذلك في صدد اعتقادهم بالله هذه الآيات :

١ — (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) .. الزخرف / ٩

٢ — (ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون) الزخرف / ٨٧ . ومن ذلك في صدد معرفتهم بالمعجزات التي أتى بها الأنبياء .

١ — (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الأنبياء — ٥ .

٢ — (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى) القصص — ٤٨ .

٣ — (وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا انزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) الفرقان / ٧ ، ٨

وهذا بالإضافة إلى مرات كثيرة تحدوا فيها بالاتيان بآياتهم أو العذاب الذي كانوا يوعدون فيه .

وهذا التحدي من صور المعركة ووسائلها كما هو واضح . ولقد اقتضت حكمة الله أن يكون القرآن هو معجزة النبوة الخالدة لأن فيه الرحمة والهداية والشفاء والموعظة وكل ما فيه خير وضمان للسعادة

الإنسانية في الدنيا والآخرة . ولأن رسالة القرآن دائمة لمختلف الأجيال الإنسانية ما دامت الحياة . في حين ان المعجزات زمنية محدودة الأثر والمعاينة . واقتضت حكمة الله بناء على ذلك أن لا يستجاب لتحديهم ولا سيما انه يعلم بانهم لن يؤمنوا مهما رأوا معجزات لأنهم فاسدو النيات والقلوب . وأن شأنهم كشأن أمثالهم السابقين الذين اظهر الله على أيدي أنبيائهم معجزات فكذبوا بها ولم يؤمنوا .. وأن الذين حسنت نياتهم وصدقت رغباتهم في الإيمان والحق يستجيبون ويؤمنون بدون معجزة وبمثل ما تقدم آيات كثيرة جدا في مختلف سور القرآن نورد منها بعض الأمثلة للتوضيح ، ونورد السور حسب ترتيبها في المصحف وتمثل مختلف مراحل العهد المكي اي ان التحدي استمر يتكرر طيلة هذا القرن :

١ — **(إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون . وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون)** الأنعام / ٣٦ ، ٣٧ .

٢ — **(واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون)** الأنعام / ١٠٩ — ١١١ .

٣ — **(ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه إنما انت منذر ولكل قوم هاد)** .. الرعد — ٧ .

٤ — **(ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من اناب . الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)** . الرعد / ٢٧ ، ٢٨ .

٥ — **(ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)** الحجر / ١٤ ، ١٥ .

٦ — **(وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)** . الإسراء / ٥٩

٧ — **(وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه أو لم تاتهم بينة ما في الصحف الأولى)** طه / ١٣٣

٨ — **(وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما انا نذير مبين . أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)** . العنكبوت / ٥٠ ، ٥١ .

ونستدرك أمرا وهو أن عدم اقتضاء حكمة الله عدم الإتيان بالآيات هو في معرض عدم الاستجابة لتحدي الكفار وحسب . وأنّ في القرآن والحديث ما يفيد أن الله اظهر على يد رسوله آيات عديدة لتاييده ونصرته ونصرة المؤمنين وفي مواقف لا صلة لها بتحدي الكفار .

— ١٤ —

ولقد كان أصحاب رسول الله يودون أن يستجاب تحدي زعماء الكفار لما سمعوهم يقسمون بأنهم سيؤمنون إذا ما جاءتهم آية على ما يلهمه ضمير **(وما يشعركم)**

المخاطب في آية الانعام ١٠٩ المرجح انه عائد إلى اصحاب رسول الله وعلى ما تلهمه آية سورة الرعد هذه: **(ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد)** الرعد / ٣١ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه يشعر بالحرج امام اصحابه الذين كانوا يودون أن يستجاب ذلك التحدي وامام الزعماء الذين كانوا يواصلون تحديهم حينما راوه لا يستجاب باتهامه بافتراء القرآن والكذب على الله وبالشعر والسحر والكهانة والجنون وبالتلقي من الشياطين وبالاقتباس من اساطير الاولين وبالاستعانة بالآخرين . ومما مر بعض امثلة منه وما منه هذه الأمثلة أيضا :

١ ـ **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا)** الفرقان / ٤ و ٥ .

٢ ـ **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون)** الشعراء / ٢١٠ ، ٢١١ .

٣ ـ **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)** سبأ / ٧ و ٨ .

٤ ـ **(وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)** ص / ٤ .

ولقد كاد هذا ان يجعله يتحاشى من تلاوة القرآن امامهم ولكن تلك الحكمة استمرت قائمة إزاء ذلك وظلت توحي بالآيات التي فيها تنديد بهم وتسفيه بأقوالهم وإيذان بأنهم لن يؤمنوا مهما جاءتهم الآيات لأنهم فاسدو النيات ومصرون على الكفر استكبارا ومكرا . وفيها تطمين وتسلية وتصبير للنبي صلى الله عليه وسلم وإيعاز له بأنه غير مسؤول عن هداهم وأن كل ما عليه هو الإنذار والتذكير وان لا ينبغي ان يقتل نفسه او تذهب عليهم حسرات لعدم استجابتهم مما يمثله آيات كثيرة جدا مبثوثة في مختلف السور النازلة في مختلف حقب العهد المكي والتي منها الأمثلة التالية :

١ ـ **(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون° ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين° وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتاتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين . إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون)** الأنعام / ٣٣ ـ ٣٦ .

٢ ـ **(كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون)** يونس ـ ٣٣ .

٣ ـ **(إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون° ولو جاءتهم كل آية**

حتى يروا العذاب الأليم) يونس / ٩٦ و٩٧ .

٤ — (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) يونس / ١٠٨ و١٠٩ .

٥ — (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) هود / ١٢ .

٦ — (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) الكهف / ٦ .

٧ — (فتول عنهم فما أنت بملوم . وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات / ٥٤ و٥٥ .

٨ — (نحن أعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ق / ٤٥ .

— ١٥ —

ولقد انبرى الزعماء من اول خطواتهم باذى من تطاله ايديهم من المؤمنين لإجبارهم علي الارتداد عن الإسلام ، فكانت محنة اذى وفتنة استمرت صورها طيلة العهد المكي بل وبعدها . وهذا من وسائل معركتهم لانهم ارادوا بذلك تخويف الناس وإرهابهم حتى لا يستجيبوا للدعوة . ولقد آمن بالرسالة المحمدية عدد غير يسير من شبان الأسر القرشية فراى آباؤهم واولياؤهم من زعماء أسرهم أن في ذلك عارا عليهم فجنحوا إلى مضايقتهم وحرمانهم ومنهم من حبسهم وقيد ايديهم بالأغلال . ولقد آمن بعض ارقاء هؤلاء الزعماء فعظم عليهم ذلك فعمدوا إلى تعذيبهم ، ومنهم من ازهقوا نفسه بالتعذيب ومنهم من حملوه على الارتداد عن الإسلام مما اشارت إليه آية سورة البروج هذه:

(إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) البروج / ١٠ .

ولقد كان في مكة افراد من اهل الكتاب منهم أرقاء ومنهم صناع . وكان فيهم أهل علم . فآمنوا بالرسالة المحمدية فأغاظ ذلك الزعماء لأن فيه تأييدا للنبي فجنحوا إلى تهديدهم وآذاهم ايضا . ولا سيما أن القرآن تحداهم في ذلك على ما جاء في آيات منها هذه الآيات :

١ — (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) الإسراء / ١٠٧ — ١٠٩ .

٢ — (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون° وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) القصص / ٥٢ — ٥٥ .

والآية الأخيرة تتضمن الإشارة إلى موقف الشدة والأذى الذي وقفه الزعماء من المؤمنين من أهل الكتاب . ولما اشتد الأذى على المؤمنين اذن

الله تعالى لرسوله بأن يرمز لمن كان متعرضا للأذى ولا يجد حماية بالهجرة إلى الحبشة وهي الهجرة التي أشارت إليها سورة النحل هذه : (**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون° الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون**) النحل /٤١و٤٢ وعظم على أوليائهم الزعماء أن يفلت أبناؤهم من أيديهم فارسلوا وفدا إلى ملك الحبشة يطلب منه إعادتهم إليهم ولكن هذا الملك رد الوفد في حديث طويل قد نفصله في مقال آخر ، وفي سورة الإسراء آية قد تلهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فكر بالهجرة أيضا من شدة الموقف وهي : (**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا**) الإسراء / ٧٦ وسورة الإسراء نزلت بعد سورة النحل بقليل .

وفي الحديث الطويل الذي يرويه البخاري عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنهما قد خرج من مكة مهاجرا بعد قليل من هجرة من هاجر إلى الحبشة ثم رجع بجوار زعيم اسمه ابن الدغنة . ومن الجائز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم اتفق معه على الهجرة معا . فخرج أبو بكر قبله ثم ثبت الله رسوله وعاد أبو بكر . وهذه صورة من صور المعركة .

— ١٦ —

ومن صورها الشديدة المقاطعة التي أعلنها زعماء مكة على بني هاشم أسرة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ورد ذلك في كتب السيرة القديمة المعتبرة . فقد كان بنو هاشم يحمون رسول الله بزعامة عمه أبي طالب فطلب الزعماء من هذا العم حمل ابن أخيه على الكف عن شتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم فرفض رسول الله وقال قولته العظيمة : (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تركت الدعوة إلى الله) . وحينئذ اتفق معظم الزعماء على مقاطعة بني هاشم وتعاهدوا على عدم مكالمتهم ومصاهرتهم ومساعدتهم وتموينهم فعانى النبي وأسرته محنة شديدة من جراء ذلك دامت أكثر من سنة إلى أن أثار ذلك ضمير بعض الزعماء المعتدلين فسعوا إلى إبطال المقاطعة .

— ١٧ —

ثم كان أشد صور المعركة عنفا المتمثلة في تآمر الزعماء على قتل رسول الله أو حبسه أو نفيه . وقد أشارت إلى ذلك آية من سورة الأنفال هذه في معرض التذكير : (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) الأنفال / ٣٠ .

ولقد كانوا يظنون أن ما كان منهم من مناوأة وصدّ يكفي لإبقاء دعوة النبي في أضيق نطاق وقد تشرد معظم أتباعه ولم يبق لها خطورة وأن أتباعه سوف يملون ويضيق ذرعهم فينفضون يدهم منه . وأن هذا حاصل على كل حال إذا مات وهو سيموت فعلا عاجلا أو آجلا ، وهذا حكى عنهم في آية سورة الطور هذه (**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**) الطور / ٣٠ . ولكنهم لما علموا أن النبي التقي بجماعة الأوس والخزرج من

اهل يثرب (المدينة المنورة) فآمنوا ثم تعهدوا بحمايته والدفاع عنه إذا خرج هو وأصحابه إليهم ، ولما رأوا أن أصحابه الذين صمدوا معه إلى آخر العهد المكي أخذوا يهاجرون إلى المدينة توقعوا العواقب الوخيمة من نجاح دعوته وانتشارها وسقوط هيئة مكة وإمامتها ومنافعها ونشوب العداء بينهم وبين أهل المدينة التي كانت على طريق قوافلهم التجارية فراوا تدارك هذه العواقب بقتله ، أو حبسه ، أو نفيه ، ولقد شاءت حكمة الله أن ينصر دينه وأن تنتشر دعوته وتظهر على الدين كله ، فرد كيدهم إلى نحورهم ونجا رسول الله من مؤامرتهم وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى على ما جاء في آية التوبة هذه: (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠ .

— ١٨ —

ولم تنته المعركة لأن الزعماء ظلوا بالمرصاد لها ولمن آمنوا بها . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين وأنصاره من أهل المدينة ومن آمن من حولها رضي الله عنهم صار في إمكانهم مساجلتهم . فتحولت المعركة من جدال كلامي ومواقف كيد وحجاج وصد إلى حرب وقتال . وأخذت تتشعب بين الطرفين وقائع حربية صغيرة وكبيرة . من أهمها وقعة بدر التي انتصر فيها المسلمون وقتل فيها عدد كبير من زعماء قريش الشديدي العداء وفي مقدمتهم أبو جهل . وأرسل أبو سفيان شخصا لاغتيال النبي للانتقام لابن له قتل في المعركة فنجاه الله وأرسل النبي من حاول اغتيال أبي سفيان بالمقابلة فلم تنجح المحاولة . وغزا الزعماء الباقون بقيادة أبي سفيان بجيش كبير المدينة . وانتصر المسلمون في البدء ثم دارت عليهم الدائرة بسبب مخالفة بعضهم لخطة وصّى بها رسول الله . ثم غزوها بجيش أكبر بقيادة أبي سفيان أيضا وبالتآمر مع اليهود والأعداء بقصد استئصال شأفة المسلمين فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ثم كان في السنة السادسة الهجرية ماسماه القرآن بالفتح المبين وهو صلح الحديبية الذي اضطر زعماء مكة إلى الاعتراف نتيجة له بالنبي ندا لهم والموافقة على مهادنة المسلمين عشر سنين وعلى زيارة المسلمين للكعبة في السنة التالية . وكان من بركات هذا الفتح عودة مهاجري الحبشة وإقبال كثير من العرب من أنحاء عديدة إلى المدينة والانضواء إلى الإسلام . ثم كان بعد سنتين المعركة الحاسمة التي نصر الله فيها النبوة على الزعامة القرشية نصرا كاسحا بفتح مكة حيث غدرت بهم قريش في عهدها فزحف النبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيش عرمرم وفتح مكة عنوة واستسلم زعماؤها وخضع سائر أهلها ، وهتف بهم ماذا ترونني فاعلا بكم؟ فقالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فأقبلوا على بيعته على الإسلام . وجاء الناس من كل صوب يدخلون في دين الله أفواجا .

والحمد لله رب العالمين .